خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٨- ٣-٢٠٠٨

بمسجد بيت الفتوح بلندن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾. (آمين)

إن من صفات الله تعالى "الرفيق". وصفتا "الحليم" و"الرفيق" تشتركان في معنى، وهو لِينُ الجانب وحسنُ الصنيع. ومن معاني الرفيقِ الصاحبُ المرافقُ. وهناك معان أخرى لهذه الكلمة عند اللغويين منها: الذي لا يضرّ

غيره بل ينفعه، المؤاسي المشفق؛ الذي ينجز أعماله بإحكام؛ الذي يعامل أصحابه معاملة حسنة؛ الذي يستعان به.

لقد أدركنا نحن الأحمديين هذه الصفة الإلهية أعني "الرفيق" بواسطة المسيح الموعود عليه السلام. ففي التاسع من أيلول/ سبتمبر عام ١٩٠٣ أخبر حضرته أنه قد أوحي إليه: "سلام عليكم طِبتم". وكان الطاعون متفشيًا في تلك الأيام، فذهب وَهْلُه عليه السلام إلى أن هذا الوحي إشارةٌ إلى هذا الوباء. ثم أخبره الله تعالى علاجه فقال: يجب الالتزام بترديد أسماء الله التالية: "يا حفيظُ يا عزيزُ يا رفيق". وقال عليه السلام: إن "الرفيق" اسم جديد لله تعالى و لم يُذكر ضمن أسمائه تعالى من قبل*.

فالله تعالى رفيق يرحم عباده ويحميهم من كل خسران، ويكشف عليهم سبل الفوائد والمنافع وأفعاله نـــزيهة من كل عيب وقصور، فهو خيرُ صاحبٍ لعباده وأفضلُ رفيق ينصر العباد في كل حين. ولهذا يقول المسيح الموعود عليه السلام في شرح كيفية نصرة الله تعالى لعباده المؤمنين:

"هناك في البخاري حديث يفيد أن المؤمن لا يزال يتقرب إلى الله تعالى، حتى يصبح سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ التي يَمْشِي بِهَا. وفي رواية أن الله تعالى يقول: حتى أكون لسانَه الذي ينطق به. ويقول الله تعالى عن مثل هؤلاء العباد: "مَنْ

* أي لم يرد في أسماء الله ال ٩٩ الشهيرة الواردة في الحديث. (المترجم)

عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ"؛ إلى هذه الدرجة يغار الله لعبده. وفي رواية: "وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ"، ولذلك يَمرض مرارًا ويشفى مرارًا، وليس ذلك إلا لأن الله تعالى يريد قبض روحه، ثم يعود فيمنحه المهلة ليعيش في الدنيا فترة أخرى. (ملفوظات، المجلد الرابع ص ٩٩ طبعة ربوة)

فهناك عامة الناس الذين يستفيضون من صفة الله الرفيق فينتفعون من رفقه ولطفه، كيفما كانت حالتهم، لكن هناك عباد الله المخلَصين، الذين يعبدونه بصدق وإخلاص، ويعتبرونه الرفيق الأعلى في الدنيا. وقد وجدنا أروع مثال لهؤلاء في شخص الرسول ﷺ، الذي قد نال فيوض هذه الصفة الربانية بكل ما في كلمة "الرفيق" من معان، ومع ذلك كان يلتاع للقاء الرفيق الأعلى، ومن أجل ذلك جرت على لسانه المبارك مرارًا في لحظاته الأخيرة الكلمات التالية: "اللهم في الرفيق الأعلى".

هذه أسوته ﷺ الحسنة التي قدّمها لنا لنتأسى بها، فنتوجه إلى الدين بدلاً من الدنيا، فنرى كيف يكون اللهُ لنا خيرَ رفيق وأفضلَ صاحبٍ، وكيف ينجينا من المآزق والأزمات، وذلك كما أوحى تعالى إلى المسيح الموعود عليه السلام لافتًا نظره إلى صفته هذه. ولكن تحقيق ذلك الوعد – كما قلت من قبل – يتطلب منا التحلي بصفات الله الذي هو "الرفيق"، وعندها سنحظى بعنايته ونجذب أفضاله وبركاته.

ففي هذا الوقت الذي نرى فيه القوى المعاديةَ للإسلام قد نشطت ضده من جديد، ليس لنا إلا رفيق واحد يمكن أن نعتصم به حتى نقاومهم وننجو من شرورهم. وكما قلت إن الهجمات الشرسة تُشَنُّ على رسول الله ﷺ والقرآن الكريم، حيث يوجَّه إليهما تهمة نشر العنف والقسوة. فكان الأعداء ينوون القيام بتصرّفات دنيئة ومنحطّة جدًّا في هذا اليوم بالذات (٢٨ آذار)، فكان وِلْدر (Wilder) عضو البرلمان الهولندي قد أعلن أنه سيصدر فيلمًا في ٢٨ آذار/ مارس حول القرآن الكريم والإسلام، لكنه قد أصدره قبل يوم من الموعد في ٢٧ مارس. وقد بثّ التلفزيونُ المحلي جزءًا منه، ثم حمّله صاحبه على الإنترنت أيضا، أما القنوات الكبيرة المشهورة فقد رفضت بثّ هذا الفيلم. ندعو الله تعالى أن يُلهِمَ أصحاب وسائل الإعلام الرشد والصواب، فيظلّوا على رفضهم لبثّ هذا الفيلم، لكن مخرج الفيلم قد حمّله على الإنترنت. وكما أخبرتكم من قبل أنه لما سئل عن محتويات الفيلم قال إنه حول الآية القرآنية: ﴿فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾ – وهي الآية الخامسة من سورة محمد.

هذا الاعتراض على الإسلام ليس بجديد. لقد بيّنت لكم من قبل أن هؤلاء يفعلون في الحروب والمعارك كل ما يحلو لهم من أمور مشروعة وغير مشروعة، لكن هذا الشخص بخبث باطنه لا يذكر للناس الجزء التالي

من الآية مع أن من واجبه ذكر هذا الجزء من التعليم القرآني أيضا، حيث قال الله إنه إذا انتهت الحرب: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾. والحق أن هذا الحكم القرآني دليل ساطع على أن الإسلام يأمر بالرفق واللطف ومراعاة مشاعر الآخرين. وهذه هي ميزة المنهج الكامل حيث يتضمن كل الأوامر التي تقتضيها شتى الظروف والمواقف. فالواقع أن الإسلام لا يأمر بالقسوة والشدة والانتقام في كل الأحوال، ولا يقول بردّ القسوةُ بمثلها دائما بحيث يعامل الناسَ معاملةَ الحيوان، كما لا يأمر بلينٍ لا مبرر له. إنه لا يأمر أنه إذا لطمك أحد على خدّك الأيسر فعليك أن تقدِّم له الأيمن أيضا، لأن العمل بهذا التعليم مستحيل، إذ من المعلوم أن الذين يؤمنون بهذا التعليم هم أكثر الناس انتقاما. فعلى مخرج الفيلم المذكور ولْدر (Wilder) أن يحاسب نفسه أولاً لأنه من أصحاب هذا التعليم، ليرى مدى عمله بتعليم هو يؤمن به.

على أية حال، سوف أتناول الآن بإيجازٍ تعاليمَ القرآن عن الرفق والحلم والعفو، مقدّمًا لكم بعض آياته التي تسلط الضوء على هذا الموضوع. لكن أود قبل ذلك لفت انتباهكم إلى أمر مهم. فمن المعلوم أن المسلمين الأحمديين يهتمون بالصلاة على النبي ﷺ بشكل عام، حيث يصلني عدد لا بأسه من الرسائل يذكر فيها أصحابها أنهم قد نالوا بركات كذا وكذا نتيجة صلاتهم على النبي ﷺ. وقد نصحت أبناء الجماعة بصدد مشروع

يوبيل الخلافة أن يواظبوا على ترديد أدعية معينة بما فيها دعاءٌ عُلِّمَه المسيحُ الموعود عليه السلام في وحي الله تعالى. يتضمن هذا الدعاء التسبيحَ والتحميد والصلاَة على النبي ﷺ، وهو: "سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، اللهم صَلِّ على محمد وآل محمد". ومن هذه الأدعية أيضًا الصلاةُ الإبراهيمية الكاملة التي نقرأها في الصلوات المكتوبة أيضا أعني: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صلّيتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم باركْ على محمد وعلى آل محمد كما باركتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. وقد نصحت الجماعة بترديد هذه الأدعية بعدد معيَّن. وتحديد هذا العدد المعين إنما هو لتعويد الإخوة على الأدعية.

على كل، فإن الأحمديين مواظبون على الصلاة على النبي ﷺ وهم مهتمون بذلك والحمد لله. وقد اعتادوا ذلك لأن المسيح الموعود عليه السلام قد قام بتذكيرنا بأحكام الله في هذا الزمن بصفة خاصة.

وقد بيّن لنا أهمية الصلاة على النبي ﷺ بصفة خاصة، كما أوصى أفراد جماعته مرارًا بترديدها، فقد قال في موضع:

"يجب أن تُكثِروا من الصلاة على النبي التي هي أمثَلُ وسيلةٍ لاكتساب الاستقامة، لكن ليس كتقليد وعادة فحسب، بل يجب أن تصلّوا على الرسول ﷺ متفكرين في حسنه وإحسانه، وداعين من أجل ارتفاع

مدارجه ومراتبه وانتصاره وغلبته ﷺ، فستكون النتيجة أنكم تنالون ثمرة حلوة ولذيذة لاستجابة الدعاء.

هناك ثلاث وسائل فحسبُ لاستجابة الدعاء، أوّلاً: ﴿إنْ كنتم تحبّون الله فاتّبعوني﴾، وثانيا: ﴿يا أيها الذين آمنوا صَلُّوا عليه وسلِّموا تسليما﴾، وثالثا: الهبة الإلهية."

إذًا فإن الصلاة على النبي ﷺ هي فضل رباني وعطاء إلهي خاص، وبها تستجاب الدعوات. فما دمتم عاكفين على الصلاة على النبي ﷺ فلا بدّ أن تتقدم الجماعة ببركتها، وتزداد تمسكًا بالخلافة، ويتم الحفاظ على هذا النظام. لكن الأمر الذي أريد أن ألفت انتباهكم إليه الآن بشكل خاص هو أن عليكم أن تُكثروا من الصلاة على النبي ﷺ لأن العدو يسعى اليوم بكل جهد للإساءة إلى القرآن الكريم لإهانة النبي ﷺ. لا شك أن محاولته هذه لن تجني له إلا عاقبةً وخيمة ومصيرًا سيِّئًا، غير أنه كردة فعلٍ لمحاولته الذميمة، علينا نحن المسلمين الأحمديين أن نعاهد أننا سنصلي على رسول الله ﷺ ملايين الملايين من المرات. عندما تصلي الجماعة الإسلامية الأحمدية على النبي ﷺ معًا سيبلغ عدد الصلاة عليه ﷺ ملايين الملايين. ولن نكتفي بالصلاة عليه ﷺ اليوم فحسب، بل سنواظب عليها ونستمر فيها، لكي يستجيب الله أدعيتنا ويتقبل صلاتنا هذه التي أمرنا بها هو نفسه، لكي يتجلى ضوءُ الإسلام ونورُ وجه النبي ﷺ على العالم أكثر من

ذي قبل. فاليوم وقد تجاوز العدو الحدود كلها في سلاطة اللسان وبذاءة الكلام والنوايا السيئة، فعلينا أن نستعين بالله راكعين ساجدين له داعين أن يوفقنا لأداء حق الصلاة على النبي ﷺ، ومتأسين بأسوة المسيح الموعود عليه السلام التي عبر عنها في بيت شعر له مفاده: "إذا ازداد العدو صراخًا وضجيجًا لجأنا إلى الحبيب المستور المحجوب ﷻ"، حتى نتمكن من عرض اسم نبيه المبارك وتعاليم القرآن الكريم على العالم في صورة أجلى، حتى ننجذب إلى ذلك الرفيق الأعلى الذي لا يعصم أصحابه من الضرر والخسران فحسب، بل يكرمهم بالغلبة والازدهار. فبما أن العصر الحاضر والمستقبل إلى يوم القيامة هو عصر النبي ﷺ، فعلينا أن ندعو الله تعالى: ربَّنا إننا نؤمن بأن الفتح النهائي الأخير هو لرسولك محمد ﷺ، لكنا نبتهل إليك أن تتقبل دعواتنا وأن تحقِّقه في زمننا.

ومن واجب الجماعة الإسلامية الأحمدية في هولندا أن توضح جيدًا للسيد وِلْدر (Wilder)، عضو البرلمان الهولندي وتقول له: صحيح أننا لا نأخذ القانون بأيدينا، ولن ننتقم منك أبدا بهذا الطريق، غير أننا نؤمن بذاك الإله الذي يبطش بالذين يتجاوزون الحدود. فإذا لم ترتدعْ عن تصرفاتك المشينة فسوف تتعرض لبطشه. فاخشَ الله وغيِّر سلوكك. لا شك أننا نؤمن بالله الذي هو "الرفيق"، إنه، بحسب هذه الصفة، عطوف ومواسٍ وشفيق، وعاصمٌ من الخسائر ومانح الأمن أيضا. فنقول لك، مِن باب

المحاولة للاتصاف بصفات الله ومواساةً لك ورغبةً في إنقاذك: غيِّرْ تصرفاتك! وهذه محاولةٌ أخيرة منا لإنقاذك، وإذا لم تتغير فسنفوّض أمرك إلى الله عملاً بقول الله تعالى في القرآن: ﴿وأعرِضْ عن الجاهلين﴾. وهو الأعلم كيف يرسي عظمة نبيِّه ويرفع شرفه ويوقر دينه.

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"لقد أوذي ذلك الإنسان الكاملُ، نبيُّنا ﷺ إيذاء شديدا، وجُعل عرضةً للسباب والبذاءة والإساءة. ولكن ماذا كان ردُّ فعلِ هذا الشخص الذي كان تجسيدا حقيقيا للأخلاق الفاضلة تجاه هذه المظالم؟ لقد دعا لهم فقط. كان الله تعالى قد وعده بحماية نفسه وعِرضه ما دام مُعرِضًا عن هؤلاء السوقة الجاهلين، وهذا ما فعل، حيث إن أعداءه لم يقدروا على رفع إصبع على شرفه، بل ضُربت عليهم الذلة والهوان، فخرّوا على قدميه، أو دُمِّروا أمام عينيه."

إن ربَّ محمد ﷺ وإلهَه ما زال حيًّا اليوم أيضا، ولن يسمح للعدو أن ينجح في جهوده الخبيثة المشينة أبدا، بل سوف يكتب للعدو الذل والخزي والهوان حتما. أما نحن فعلينا أن نواظب على أداء مسؤولياتنا. لكن، لتوفير الأمن للعالم ولإيصال رسالة الإسلام لمواساة الإنسانية، يجب أن نستمر في نشر دعوتنا برفقٍ ولِينٍ بدون انقطاع. بماذا يأمرنا الله كي

نتحلى بالحلم واللين؟ يقول الله في سورة الشورى: ﴿وجزاءُ سيئةٍ سيئةٌ مثلُها فمَن عَفا وأصْلَحَ فأجْرُهُ على اللهِ إنّه لا يحبّ الظالمين﴾ (الشورى ٤١).

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"جزاءُ سيئةٍ سيئةٌ مثلها. فمن عفا عن ذنب أحدٍ عفوًا يترتب عليه إصلاح ولا يؤدي إلى مزيد من الشر.. أي يكون عفوًا في محله تماما.. فإنه يُثاب على ذلك.

يتضح من هذه الآية أن القرآن المجيد لا يأمرنا بترك مقاومة الشر وعدم معاقبة الأشرار والظالمين في كل الأحوال وبدون أي داع لذلك. كلا، بل يرشدنا أن نرى ما إذا كان الموقف يقتضي العفوَ أم العقوبة، وما هو الأنفع في الحقيقة للمجرم وكذلك لعامة الخلائق. فأحيانا يدفع العفوُ المجرمَ إلى التوبة، وأحيانا أخرى يشجّعه العفو على المزيد من الإجرام؛ ولذلك يأمرنا الله تعالى ألا نعتاد العفوَ الأعمى، بل يجب أن نتبين موضعَ الخير الحقيقي، أهو في العفو أم في العقاب، ثم نحكم بما يوافق الحالَ والمقام. فإننا إذا استقرأْنا أخلاقَ البشر تبين لنا أنه كما يكون بعضهم حَقودًا بحيث لا ينسى أحقادَ آبائه، كذلك يكون مِن بينهم مَن يبالغ جدًّا في العفو والصفح، حتى إن هذا العفو المفرط يؤدي به أحيانا إلى الديوثية، ويصدر عنه باسم الحلم والعفو والتغاضي ما يُخجل الإنسانَ وما ينافي تماما الغيرة والعفّة، بل يكون وصمةَ عارٍ على سيرة الإنسان، حتى يتبرأ منه الناس

ويلعنوه. ونظرًا إلى مثل هذه المفاسد فإن القرآن المجيد قد اشترط لكل خُلق بأن يكون في محله ويصدر بحسب المقتضى، و لم يقبل من الأخلاق ما يصدر في غير محله." (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية ج ١٠ ص٣٥١- ٣٥٢)

فهذا هو التعليم الإسلامي الذي يعترض عليه أعداء الإسلام! أما في الحرب، فما دام العدو يهاجم ويشن الغارات فلا بد من الرد عليه بقوة وشدة؛ أما إذا انتهت الحرب فلا مسوِّغ للظلم، بل يجب إطلاق سراح الأسرى.

علاوة على ذلك، إذا كانت ثمة مسائل اجتماعية فيجب لِحلِّها أن تستعرضوا الأوضاع لتقرّروا هل يمكن الإصلاح بالشدة أم بالعفو والحلم. وإذا كنتم موقنين بأن المجرم سيَميل إلى إصلاح حالته نتيجةَ مواساتكم وعفوِكم عن جريمته، وأنه ليس مجرما محترفا بل ارتكب الجريمة مضطرا، فالعفو عنه أمر مستحسن لأنه يؤدي إلى إصلاحه. أما إذا كان المجرم محترفا فالعفو عنه سيدمّر أمن المجتمع. إن الله الذي هو خير صاحب ورفيق لعباده الذين يُعَدّون عباد الرحمن – الذين يستعدّون على الدوام لتقديم كل أنواع التضحيات لله تعالى، والذين تستهويهم عبادتُه – فيخلق لهم ظروفًا تقيهم شرّ الناس وضررهم، ويخرجهم من المصائب والمآزق، كما علَّم ﷻ سيدَنا المسيحَ الموعود عليه السلام بوحيه دعاءً ليخلّصه من المرض متجليًا عليه بصفته الرفيق.

فالله تعالى قد لفت انتباهنا إلى أمر أساس حيث بين لنا أنه لا بد أن يكون هدفكم هو الإصلاح، وإلا فلن يعود هدفكم نبيلا، بل يصير ظلما، وإن الله لا يحب الظالمين، وإن عباد الله يعملون دائمًا على القضاء على الظلم.

إذًا فإن الآيات التالية لهذه الآية من سورة الشورى توضِّح تعاليمَ الإسلام بجلاء أكثر حيث قال تعالى: ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (الشورى: ٤٢)

ثم قال: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الشورى: ٤٣)

ثم يقول: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ (الشورى: ٤٤)

فالأمر الأول الذي ينبغي توضيحه هنا أن هذا الحكم لا يعني أبدًا أنه ما دام يحقّ للفرد أن ينتقم فيمكنه أن يأخذ القانون بيده ويثأر كما يحلو له. لا شك أن مَن عنده علم القرآن الكريم يعرف حقيقته تماما، ولكن العدو الطاعن دائما يبحث عن نقاط الاعتراض. لذا فيجب أن يعرف الجميع أن الله تعالى قد أمر في مثل هذه الظروف أن نتوجه إلى أولي الأمر وأن نطيعهم بعد طاعتنا لله والرسول ﷺ. إذًا فانتصار المظلوم في هذا العصر يعني أن ينتقم بلجوئه إلى القانون، إذ لا يجوز له أخذ القانون بيده، لأن هذا الطريق يُفضي إلى فتح أبواب أخرى للظلم. فبوسع المظلوم أن ينتقم بعد ظلمه ضمن إطار القانون وحدوده.

إن تعاليم الإسلام ليست خيالية بحيث لا يمكن العمل بها، غير أنها بحاجة إلى فهم سليم. ولكن العدو بدلاً من أن يفهمها صحيحا يشرحها على هواه بطرق مختلفة.

فالإسلام يقدم لنا صورة عملية حيث يقول: لما كان الجميع لا يتحلون بسعة الصدر حتى يعفوا، فيمكنهم أن يأخذوا ثأرهم، ولكن ضمن إطار قانوني. ثم يقول الله تعالى إنه لا يبطش إلا بأولئك الذين يظلمون دون مبرر ويحاولون هضم حقوق الآخرين، والمراد من الحقوق هنا كل نوع منها، بما فيها الأخلاقية، والشعورية، والمعيشية، والاجتماعية، والدينية وغيرها.

وإن الذين يهضمون حقوق الآخرين إنما يفسدون أمن المجتمع ويضرّون بالآخرين دون مبرر، وعملهم هذا بغيٌ وتمرّدٌ على أوامر الله تعالى. فإذا كان مثل هؤلاء الناس ينجون من عقاب جرائمهم بسبب قوانين بلادهم – كما يحدث هنا في الغرب حيث يسمح بجرح مشاعر الناس وإهانة أفكارهم وتعاليم أديانهم تحت شعار حرية الفكر – فلا بد أن يتذكروا أن هناك إلهًا قادرًا مطلق القدرة، وسوف يأتيه كل إنسان فردا، وقد أعدَّ للطاغين الباغين في الآخرة عذابا أليما.

ثم لاحِظوا ما في هذه الآيات القرآنية التي قرأتها على مسامعكم من تعاليم تدعو إلى منتهى الصبر والتحمل، ومع ذلك يقول المتهِمون أن الإسلام

يخلو من تعليم الصبر والتحمل. يبين الله تعالى في الآية الأخيرة منها أن لكم حقًّا في أخذ الثأر وتعويض الخسارة التي تعرضتم لها، ولكن الأخلاق السامية تقتضي أن تصبروا وتعفوا عن هؤلاء، واسعوْا جاهدين لخيرهم ما دام عفوكم يؤدي إلى إصلاحهم. وهناك نموذج مثالي للعفو في حياة النبي ﷺ، حفظه التاريخ في صُحفه، وقد اعترف به المستشرقون أيضا، وهو أن امرأة يهودية حاولت قتل النبي ﷺ بدسّ السمّ في طعامه، ولكنه عفا عنها. وقد صفح النبي ﷺ عن الظالمين وعفا في مواطن كثيرة أخرى أيضًا كما قال المسيح الموعود عليه السلام في المقتطَف الذي قرأته عليكم قبل قليل، ولكن خُلقه ﷺ هذا قد تجلى بأروع شكل لدى فتح مكة، حيث كان يملك القوة والقدرة ومع ذلك عفا عن الذين كانوا يظلمونه ﷺ وأصحابه قائلا: "لا تثريب عليكم اليوم". ورغم كل ذلك يقول المعارضون إن أحكام الإسلام قاسية وخالية من مواساة الإنسانية، وأن نبينا ﷺ لم يكن يعرف شيئا اسمه الرفق أو الحلم، والعياذ بالله. والحقيقة أنه ﷺ كان يُهلِك نفسه حزنًا وأسًى على هؤلاء الذين كانوا يشركون بالله ولا يعبدونه وحده وكان يدعو لهم حتى لا يقعوا تحت عذاب الله تعالى نتيجة أفاعيلهم، وألا يأخذهم عذاب أليم بسبب الظلم الذي كانوا يصبّونه عليه ﷺ وعلى أصحابه. لقد أشار الله تعالى إلى قلق النبي ﷺ وحرصه هذا في القرآن الكريم بقوله: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء:٤).

يقول المسيح الموعود عليه السلام: يتضح من هذه الآية أن النبي ﷺ كان يدعو الله تعالى لإيمان الكافرين بمنتهى الجهد والتضرع والإلحاح حتى كان يُخشى عليه الهلاك حزنًا، لذلك قال الله تعالى له ﷻ: لا تحزن من أجلهم لهذا الحد ولا تجعل قلبك عرضة للآلام، لأنهم لا يبالون بالإيمان بل لهم أهداف ونوايا أخرى.

لقد بيّن الله تعالى هنا لنبيّه ﷺ أنه فيما يتعلق بالعزيمة والتركيز والمشقة والإلحاح والتضرع التي تدعو بها لهداية هؤلاء الناس فإن أدعيتك مؤثّرة بلا شك، ولكن من شروط استجابة الدعاء أن الذي يتم الدعاء في حقه يجب ألا يكون عنيدا وغير مبالٍ وذا فطرةٍ ممسوخة، وإلا فلن يُستجاب الدعاء.

هذه هي أسوة النبي ﷺ في مواساة الناس، مع ذلك يقول هؤلاء المعاندون أنه لا يوجد في الإسلام غير القسوة والظلم. أهكذا يُهلِك نفسه من أجل الآخرين مَن كان له طبع قتالي؟ وهل هكذا يعفو عن الظالمين وبرحابة صدرٍ مَن لا يعرف إلا الانتقام والأنانية؟ نسأل الله تعالى أن يبصِّر هؤلاء الذين أصبحت قلوبهم عمياء. علينا أن ندعو لخير الدنيا كلها آخذين أسوة الرسول ﷺ بعين الاعتبار حتى يميز الله ذوي النفوس الصالحة من ذوي النفوس الفاسدة. إن الدنيا منغمسة في الأرجاس والأقذار، والله ﷻ وحده يعلم ماذا سيكون مصيرها، ولكن علينا أن ندعو لخير الدنيا كلها

متأسين بأسوة الرسول ﷺ. ينبغي أن نتذكر دومًا أننا أتباع ذلك النبي الذي بعثه الله قائلاً: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٨).

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

"إن قوله تعالى ﴿وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين﴾ ما كان لينطبق عليه ﷺ إلا إذا عرَض الهداية على الناس متحليا بكل الأخلاق الحميدة. وهذا ما حصل فعلاً، فقد قام بعملية إصلاح الناس وهدايتهم إلى الله تعالى بدماثة الأخلاق والصبر والرفق والشدة أيضًا، ولم يقصّر في إنفاق المال عليهم والرفق بهم وتقديم الأدلة العقلية والمعجزات لهم. علمًا أن الشدة أيضًا إحدى سبل الإصلاح كما تخوِّف الأم ولدها بالضرب أحيانًا، وقد استخدم الرسول ﷺ هذه الوسيلة أيضًا. والواقع أن الشدة من رحمة الله تعالى، لأن الذين لا ينصلحون بطريق آخر يُصلِحهم الله تعالى بالشدة لينالوا النجاة.

كان النبي ﷺ رحمة متجسدة، وكان يستهدف بكل فعله ونصيحته أن ينال هؤلاء نصيبًا من رحمة الله. إذًا فمن الظلم العظيم أن يُتَّهَم مثل هذا الإنسان – الذي كان كل فعلٍ ووعظٍ له يفيض رحمةً ومواساة للعالم كله – بأنه جاء بتعاليم تدعو إلى الظلم والعدوان، والعياذ بالله.

وأقرأ الآن بعض الأحاديث النبوية التي تبيّن لنا رحمة النبي ﷺ ومواساته ورفقه وحرصه على هداية الناس. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلا تُنَفِّرُوا. (البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخوّلهم بالموعظة)

فإذا كان النبي ﷺ ينصح بهذا الأمر فلا بد أنه كان يعمل به أكثر من الجميع.

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ. (البخاري، كتاب البيوع، باب من أنظرَ مُعسِرًا)

لقد كان مثل هؤلاء الناس ولا يزالون يحاولون التخلق بأخلاق الله تعالى، ولذلك يعاملهم الله تعالى أيضًا معاملة خاصة.

وفي رواية عَنْ حُذَيْفَةَ: أُتِيَ اللهَ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ، آتَيْتَنِي مَالَكَ، فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الْجَوَازُ، فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ عَلَى الْمُوسِرِ وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ. فَقَالَ اللهُ: أَنَا أَحَقُّ بِذَا مِنْكَ تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي. (مسلم، كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المُعسر)

إن مثل هؤلاء الناس كانوا يتحرَّون رحمة الله تعالى، فكانوا يعاملون خَلْق الله بكل رفق ولين.

وورد في رواية أخرى عن عائشة عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: إِنَّ الرِّفْقَ لا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلا زَانَهُ، وَلا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلا شَانَهُ. (مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق)

فكما لاحظْنا من الحديث الأول أن الله تعالى يرفُق بالعباد بسبب رفقهم بخَلْقه تعالى، فسلوكهم هذا يهيئ لهم أسباب المغفرة.

وفي رواية أخرى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ. (الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق)

ويقول النبي ﷺ في حديث آخر: "مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ". (مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، فضل الرفق)

وهناك رواية عن عائشة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ. (مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، فضل الرفق)

فهل يُتوقع من النبي ﷺ – الذي كان دائم العطش لحب الله تعالى – أن يوصي أتباعه بمثل هذه الأمور ولا يعمل بها؟

وهناك رواية أخرى عن جابر قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَأَدْخَلَهُ جَنَّتَهُ؛ رِفْقٌ بِالضَّعِيفِ، وَشَفَقَةٌ عَلَى الْوَالِدَيْنِ، وَإِحْسَانٌ إِلَى الْمَمْلُوكِ. (الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق)

وورد في رواية عن عائشة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهَا: يَا عَائِشَةُ ارْفُقِي، فَإِنَّ اللهَ إِذَا أَرَادَ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا دَلَّهُمْ عَلَى بَابِ الرِّفْقِ. (مسند أحمد، باقي مسند الأنصار)

وعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِن الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ. فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ. فَقُلْتُ: وَا ثُكْلَ أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ، تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ. فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي، لَكِنِّي سَكَتُّ. فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ. فَوَاللَّهِ، مَا كَهَرَنِي، وَلا ضَرَبَنِي، وَلا شَتَمَنِي. قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الصَّلاةَ لا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ. (مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بَاب تَحْرِيمِ الْكَلامِ فِي الصَّلاةِ)

هذه كانت طريقته ﷺ لتعليم أصحابه. ولكن كيف كان يعامل أعداءه؟ لقد لاحظْنا مثالاً لذلك فيما حصل عند فتح مكة. وهناك واقعة أخرى حصلت في معركة "بدر" الأولى حيث لم يكن المَنـــزِل الذي نزل فيه الجيشُ الإسلامي منـــزلاً مناسبًا، فقال الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْزِلَ؟ أَمَنْزِلاً أَنْزَلَكَهُ اللهُ، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟ قَالَ: بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّه، فَإِنّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ. فَانْهَضْ بِالنّاسِ حَتّى نَأْتِيَ أَدْنَى مَاءٍ مِنَ الْقَوْمِ فَنَنْزِلَهُ، ثُمّ نُغَوِّرُ مَا وَرَاءَهُ مِنَ الْقُلُبِ، ثُمّ نَبْنِي عَلَيْهِ حَوْضًا فَنَمْلَؤُهُ مَاءً، ثُمّ نُقَاتِلُ الْقَوْمَ، فَنَشْرَبُ وَلا يَشْرَبُونَ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ. فَنَهَضَ

رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ النّاسِ فَسَارَ حَتّى إذَا أَتَى أَدْنَى مَاءٍ مِنَ الْقَوْمِ نَزَلَ عَلَيْهِ (سيرة ابن هشام).

وبعد قليل أقبلَ نفرٌ من قريش ووردوا الحوض لشرب الماء، وكان الصحابة يتوقعون أن النبي ﷺ سيمنعهم من شربه، فقال للصحابة: لا تمنعوهم، بل دَعُوهم يشربوا.

هكذا كان النبي ﷺ يعامل الأعداء. كان الصحابة يريدون حرمان العدو من الماء حتى يقاسي ويكابد، وهذه مكيدة من المكائد الحربية المعروفة؛ ولكن النبي ﷺ لم يكن ينـــزل على الماء ليحرم العدو من شربه، بل لعله نزل على الماء ليقدمه للعدو أيضا لأنه كان مظهرًا لصفات الله ﷻ. ولكن لو كان العدو قد نزل على الماء لما سمح للمسلمين بشربه، الأمر الذي كان سيؤدي إلى ضيق وحرج. إذًا فكان نزوله ﷺ على الماء رحمةً لحزبه ولحزب الأعداء كليهما.

فهل هناك نظير لمثل هذه الأحداث في عصرنا الحالي الذي يدّعي فيه العالم أنه قد تحضّر كثيرا. فهذه هي النصائح التي حث فيها النبي ﷺ أُمّتَه على دماثة الخُلُق والتسامح والمواساة والرفق، كما قدم لهم أسوة حسنة بالتحلي بها في حياته.

ندعو الله تعالى أن يوفق العالَم أن ينظر بعين الإنصاف إلى هذا الوجه الجميل وإلى هذه التعاليم الرائعة. كما ندعو الله تعالى أن يتقبل أعمالنا

ودعواتنا وصلواتنا على النبي ﷺ، ويبارك فيها بركات كثيرة، حتى نرى في القريب العاجل الوجه الأجلى والأغر لسيدنا ومولانا محمد ﷺ بكل ضيائه وبهائه في كل بقعة وفي كل مدينة وفي كل شارع في العالم، وأن تجتمع الدنيا كلها تحت لوائه ﷺ، وأن يكتب الذلةَ والهوان على جميع أعدائه الذين يعكفون على شن هجمات قذرة على ذاته المباركة، ضاربين بمقتضيات العدل والإنصاف جميعها عُرْضَ الحائط. آمين.

قال حضرته في الخطبة الثانية:

هناك خبر مؤسف جدًّا إذ اُستشهد الدكتور محمد سرور خان في قريته "سنغو" في محافظة "بيشاور" في الساعة الثامنة ليلا يوم ١٩ آذار/ مارس. كان يعمل في عيادة له هناك، فدُقّ جرس الباب، فلما خرج أطلق عليه بعض الأشرار وابلا من الرصاص فقتلوه، إنا لله وإنا إليه راجعون. كان عمره ٧٤ عاما، وكان قد تشرف بالانضمام إلى الجماعة عام ١٩٥٤م، وقد وفّقه الله تعالى لتقديم تضحيات عظيمة من أجل الأحمدية. كان من الشجعان الباسلين ومن الصالحين. كان ذائع الصيت في المنطقة كلها إذ قد شفى الله على يده وبعلاجه الكثيرين. ورغم أن عائلته كانت عائلة أحمدية وحيدة هناك إلا أنه كان ذا أثر ونفوذ في المنطقة. كان قد تعرض لمحاولات القتل من قبل أيضا، ولكنه نجا. وكان بعض الناس قد أشار عليه

بسبب هذه المحاولات من قبل الأعداء أن يترك قريته وينتقل إلى مكان آخر، ولكنه كان شجاعا جدًّا فلم يغادر منطقته. لقد ترك خلفه ست بنات وثلاثة بنين. ندعو الله تعالى أن يُلْهِمَهم الصبرَ والسلوان، ويتقبل تضحيته هذه، ويرفع درجاته في أعلى عِلِّيِّين، آمين.

بعد صلاة الجمعة سنصلي على الشهيد صلاة الغائب. إن شاء الله.